أقصر الطرق إلى الله

للأستاذ محمود سلبى

ما هو أقصر الطرق إلى الله ؟ .

ما هى أسرع الوسائل الموصلة إلى الله ؟ .

نلقى هذا السؤال وذاك ، على الناس جميعا ، بمناسبة اشتغال العالم كله بإطلاق سفن الفضاء .

والناس اليوم قلقون مضطربون ، يريدون أن يضعوا أيديهم على « زر » فاذا هم فى جنب الله ، فى أقل من لمح البصر ، تماما كما يضغطون على « زر » فاذا سفينة الفضاء تنطلق بهم إلى حيث شاءوا من الأرض أو من السماء ! .

نعم ... إن انسان ما قبل الفضاء ، غير انسان ما بعد الفضاء .

لقد كان انسان ماقبل الفضاء يصبر على المسافات ، ويصبر على الأبعاد والساعات.

أما انسان ما بعد الفضاء فأصبح لا يصبر على المسافات ، ولا يطيق انقضاء الساعات الطوال حين يسافر فى أقطار الأرض .

وسوف يصبح الإنسان ، بعد قليل من الزمان ، ذريا فى طعامه ، ذريا فى سفره ، ذريا فى أحلامه .

وسوف يمرق الانسان من نقطة انطلاقه من الأرض ، إلى الفضاء فى دقائق ، ثم يمرق من الفضاء إلى ما شاء من الأجواء ، ثم يمرق من الأجواء إلى ما شاء من الكواكب ، ثم يمرق من الكواكب إلى ما شاء من النجوم ! ! .

وأحلام اليوم حقائق الغد ...

فما رأى السادة حملة العلم ، ودعاة الدين ، فى هذا الذى نحن فيه ؟ .

ما رأيهم فى إنسان اليوم ، وكيف نطور الدين معه ، ليدور مع فهمه وذوقه ؟ .

ما رأى الذين يجمدون كأنهم خشب مسندة ، فلا يريدون للناس هدى ، ولا يدعون الناس يهتدون ! .

كيف يمكن أن نسوق إلى الناس ما كان يساق إلى أسلافهم منذ ألف عام ؟ .

كيف يقف الدعاة والوعاظ والمرشدون ، يديرون أفواههم بكلمات ليس فيها من حياة العصر من شيء ؟ .

نريد أسلوبا صاروخيا يصلنا إلى الله سريعا .

نريد شيئا إذا فعلناه وصلنا إلى الله ، بأسرع مما يصل به رجل الفضاء إلى السماء .

نريد هذا الأسلوب ... فهل يمكن العثور على هذا الأسلوب ؟ .

وهل هو موجود فى هذا الدين ... وإن الدين عند الله الإسلام ؟

نعم ... بل إن الإسلام فى حقيقته هو الدين الصاروخى ، وهى العقيدة الذرية الفعالة بأسرع مما تفعله الصواريخ وسفن الفضاء .

فما هو هذا الأسلوب من الكلام ؟

تعال معى ، وأقرأ معى قوله سبحانه . « وإذا سألك عبادى عنى ، فإنى قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعانى ، ليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

تأمل قوله « وإذا سألك عبادى عنى » وانظر اعجاز الآية . واتساعها وشمولها ، واحتوائها لأسئلة البصر جميعا فى كل زمان ومكان ! .

إذا سألك عبادى ؟ .

الآية تعبر تعبيراً معجزا عما يتوق كل إنسان إلى سؤاله والاستفسار عنه .

دائما يسأل الناس وسيسألون ... عن أهم شيء فى حياتهم ... عن سر هذه الحياة ، كيف كانت ، كيف تمضى ، كيف تنتهى ، وما غايتها ، وما هو الذى يمسكها وينظمها ويبدعها ؟ ؟ .

عنى ؟ .

عنى أنا الله يسأل عبادى ، على اختلاف أفكارهم وأديانهم وألوانهم ولغاتهم ، الجميع يسألون عنه ، عن الله الذى أوجدهم ، ورزقهم ، ويميتهم ويفعل بهم ما شاء .

وإن من مخلوق إلا ويسأل عن الله ...

وهنا تتجلى روعة التعبير ...

عنى أنا الله يسأل الناس ... فهل علموا عنى شيئا ؟

كلا .. مازال الناس غرقى فى ظلام تكوينهم لا يعلمون شيئا ولا يستطيعون .

وحتى هنا ... وتبدأ المرحلة الخطيرة من الآية ... مرحلة ما وراء السرعة فى هذا الدين ... وما وراء السرعة فى الإسلام ، حين يدعو الناس إلى الله .

فإنى قريب ؟ ؟ .

اعلن يا أيها الرسول إلى الناس كافة أنى قريب إلى كل إنسان .

أنا أقرب إليه مما يتصور ، أنا أقرب اليه من نفسه « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » .

ليس الله بعيداً عن أحد .

إن الله أقرب إلى الناس من أنفسهم إنهم يستطيعون الوصول إليه فى أقل من لمح البصر .

إن سفن الفضاء ، ومحاولات الهواء ، التى يريدون الوصول بها سريعا إلى السماء ... كل هذا يبدو بطيئا جدا ، بالنسبة إلى السرعة التى يستطيع أى إنسان أن يصل بها إلى الله .

إن أى سفر للفضاء يحتاج إلى شىء من الوقت ، ولكن السفر إلى الله لا يحتاج إلى وقت أبدا .

كيف هذا ؟ . كيف يقال هذا ، والسفر إلى الله هو أشق الأسفار ؟

تالله إنى لأصدقكم القول فلو لا تصدقون ؟ .

دعوا ما يملأ صدوركم ، وما يثقل عقولكم ، وما توارثتموه عن آبائكم ، وتعالوا إلى الله أطفالا على الفطرة التى فطركم عليها .

تعالوا إلى الله أطفالا ، فإن الله يحب الفطرة التى فطر الناس عليها .

اطرحوا أيها الناس من عقولكم ذلك الحشو الذى تملأون به رءوسكم ، وتظنون أنه شىء وما هو بشىء .

ثم التوا إلى الله ... وسوف تجدوا الله ...

وسوف تعجبون فى أنفسكم ... آلله قريب منا إلى هذا الحد ؟

نعم ... إن الذى يحول بينك وبين الله هو انصرافك عنه ، ولو أقبلت عليه لأقبل عليك ... استغفر الله لو اتجهت اليه لوجدته .

إنك أنت الأعمى ... إن الله قريب منك دائما وأبداً ... ولكن بشرط أن تبصر .

وهكذا يعلن الله جل وعلا الحقيقة الكبرى بينه وبين عباده ... حقيقة قربه منهم جميعا ، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم

وهذه الحقيقة تمحو أوهام الواهمين ، وتبدد أحلام المتقاعدين ، وتدفع الناس دفعا إلى الله رب العالمين .

ثم تعلن السماء إلى أهل الأرض شرطها الوحيد ، ليتحقق قربهم من الله .

أجيب دعوة الداع إذا دعان ؟ .

الله يجيب دعوة الداعى إذا دعاه ؟ .

إذا ناداه قال لبيك عبدى ؟ .

فكيف الطريق إلى هذا المقام ؟ .

فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى ... ذلك هو الطريق ... وهو أقصر الطرق إلى الله ... وأسلوبه أن تتخلع من عبادة الأصنام ...

هناك صنم المال ... عليك أن تكفر به ...

وهناك صنم الشهوات ... وعليك أن تحطمه ...

وهناك صنم الهوى ... وعليك أن تنسفه ...

تلك الطواغيت التى أذلت الإنسان ، وهدت كيانه ، وأصمت آذانه ، وأعمت أبصاره ، ينبغى تحطيمها كلها ...

ثم التقهقر إلى حالة الطفولة الأولى ، كما ولدتك أمك ...

فاذا ما تمت لك التخلية من المعاصى ... جاء دور التحلية بالإيمان ...

سر بعد ذلك إلى الله ... بقلب سليم ... وروح طائر فى الملكوت ...

سنشعر بعدها بلذة الانطلاق إلى الله ... وهى لذة لا تدانيها لذة الانطلاق إلى الفضاء ... ولا تساويها لذائذ المادة مجتمعة .

ذلك أن الانطلاق فى سفينة الفضاء انطلاق للجسد محدود ، ولكن الانطلاق إلى رب السماوات انطلاق للروح غير محدود .

ومتى استطاع الانسان أن يعيش بقلب سليم ، فقد وصل إلى مقام « لا خوف عليهم ولاهم يحزنون » .

ذلك المقام الذى يأمن فيه الإنسان فلا يخاف ، ويسعد فيه فلا يحزن .

فما هو القلب السليم ؟ .

القلب السليم ، هو القلب المتجه إلى الله المعرض عمن سواه .

ومتى سلم القلب ، استقامت الجوارح على أمر الله .

القلب السليم ، هو القلب الذى يدير مملكة الجسد لحساب ملك الملوك .

الذى يعلم أنه مخلوق لله ، ولا ينبغى أن يعبد إلا الذى خلقه وسواه .

ولعل هذا من أسرار قوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات » ... لأن النية موضعها القلب .

فمتى كان القلب متجها إلى الله ، كانت الأفعال والأقوال لله ، ومتى كان القلب متجها إلى غير الله ، كانت الأفعال والأقوال متجهة إلى غير الله .

ولعل هذا أيضا من أسرار ما اختتم به صلى الله عليه وسلم ذلك الحديث « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى امرأة ينكحها أو دنيا يصيبها فهجرته إلى ما هاجر إليه » — أو كما قال — .

وانظر إلى التعبير بالهجرة ، دون سواها ، لأن المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، ولأن من أراد السير إلى الله لزمه أن يهجر أولا ما نهى الله عنه ، ثم يبدىء فى السير إليه سبحانه .

إلا أن هجر المعاصى لا خير فيه إن لم يكن الدافع اليه هو الرغبة فى الاتجاه إلى الله ، وهو ما يسمى بالنية ، وهو عزيمة القلب على شىء ما ...

ومتى انعقدت النية من الانسان ، أى متى قامت بنفسه إرادة الاتجاه إلى الله ، رأيته يتخلع من كل شىء يعوقه عن السفر .

إنما مثل المسافر إلى الله ، كمثل رجل أراد أن يسبح فى الماء ، تراه يخلع ملابسه كلها ، ثم يطرحها وراءه ، ثم يلقى بنفسه إلى الماء فرحا مسرورا ، فاذا ما استوى على الماء أحس بلذة السباحة ، وتمنى ألا يعود إلى الشاطىء أبدا .

كذلك الإنسان إذا صح منه العزم للسير إلى الله ، تراه يخلع الدنيا عن قلبه ثم ، يلقى بنفسه إلى بحار القدس ، تسبح فى آفاقها ، تريد القرب من الله ربها .

وهو فى سبحه هذا يشعر بلذة فائقة ماحقة ، يتمنى عند مايمر بتجربتها ألا يعود إلى الانغماس فى الدنيا بعدها أبدا .

ولعل هذا من أسرار قوله صلى الله عليه وسلم « وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يلقى فى النار » . — أو كما قال —

ذلك هو الطريق إلى الله ؟ .

رغبة حارقة تقوم بالنفس ، يدفعها شوق حارق للسفر إلى الله .

ثم انخلاع تام من المعاصى ، وانصهار تام فى الطاعات .

ثم يبدء المسافر إلى الله الشوط ... وإن له فى بحـــار العظمة الإلهية سبحا طويلا .

سوف يسبح ... ثم يسبح ... ثم يسبح ... لأن الله يناديه ... أقبل عبدى ... وهو يهتف ثم يهتف ... لبيك اللهم لبيك . ؟

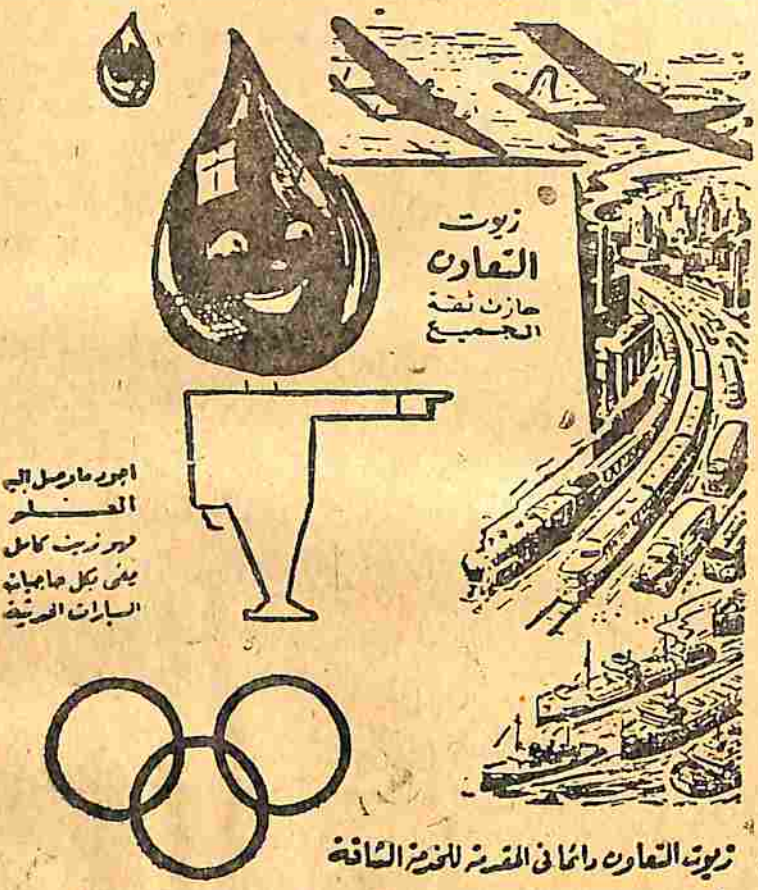

زيوت التعاون دائما فى المقدمة للخدمة الشاقة

الجمعية التعاونية للبترول